مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN 2170-0370/E-ISSN 8127-2710
المجلد 13- العدد1/ 2022،ص ص 330- 346

ركائز ووسائل السياسة الفرنسية لمراقبة شيوخ الطريقة القادرية بالجنوب الشرقي من خلال الوثائق الأرشيفية 1892 – 1939م

Les piliers et les moyens de la politique française de suivi des cheikhs de l'ordre Qadiriya dans le sud-est à traves des documents d'archives 1892-1939.

رشيد قسيبة

جامعة الوادي (الجزائر)rachid92944@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/09/15 ؛ تاريخ القبول: 12/07/السنة2021 ؛ تاريخ النشر: 2022/01/30

الملخص

يتطرق المقال إلى إشكالية حساسة طالما أثارت جدل وهي كيف كانت ركائز ووسائل السياسة الفرنسية لمراقبة شيوخ الطريقة القادرية بالجنوب الشرقي الجزائري، والتي كانت مختلفة بعض الشيء عن السياسة تجاه الزوايا والطرق الصوفية الأخرى، وذلك نتيجة موقف الطريقة القادرية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، استخدمنا في هذا المقال المنهج التاريخي بالاعتماد على مصادر متنوعة ومهمة خاصة تقارير الأرشيف الوطني الفرنسي، وكتابات المعاصرين، وبذلك فإن المقال يحمل في ثناياه حقائق تاريخية مهمة عن علاقة الطريقة القادرية بالاستعمار الفرنسي.

الكلمات المفتاحية: الطريقة القادرية، الاحتلال الفرنسي، وادي سوف، شيوخ الزوايا.

Abstract

The article deals with a delicate issue that has long sparked controversy, namely how the pillars and means of French politics were to monitor the sheikhs of the Qadiriya order in southeastern Algeria, which was somewhat different from the policy towards angles and other Sufi orders because of the Qadiriya order's stance on the French occupation of Algeria. By drawing on various important sources, in particular reports from the French National Archives and the writings of contemporaries, the article thus carries with it important historical facts on the relationship of the Qadiriya order to French colonialism.

Keywords: the Qadiriya method, Françoise colonization, Oued souf.

* **المؤلف المرسل.**

مقدمة:

بعد تأسيس الطريقة القادرية في منطقة وادي سوف عام 1892م، عرفت إنتشارا واسعا في الجنوب الشرقي الجزائري، وتوطد سلطانها في قلب الصحراء من خلال رواية عميش بقيادة الشيخ محمد الهاشمي الشريف، وزاوية الرباح بقيادة الشيخ محمد الإمام الشريف، وزاوية قمار بقيادة محمد الطيب الشريف، ثم زاوية بسكرة والتي أسسها الشيخ الهاشمي الشريف كذلك عام 1913م، وهؤلاء الشيوخ الأربعة هم أبناء الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف، وسعت السلطات الفرنسية للتقرب من هذه الطريقة عن طريق الجاسوس الفرنسي "ديبورتر" لكنها فشلت فيذلك، فما هي أهم الركائز التي اعتمدت عليها السلطات الفرنسية حتى تتخوف من شيوخ الطريقة القادرية؟ وما هي أهم الوسائل التي اعتمدتها سلطات الاستعمار في مراقبة نشاط هؤلاء الشيوخ والحدّ من نفوذهم؟

1- ظهور الطريقة القادرية بالجنوب الشرقي وأبرز وزواياها:

1-1- ظهور الطريقة القادرية وتطورها:

ظهرت عدة فروع للطريقة القادرية في الجنوب الشرقي الجزائري وكان لها دور بارز أثناء غزو فرنسا للجزائر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي، نذكر منها زاوية عميش التي كان لها صلة بزاويتي نفطة والكان القادريتين بالقطر التونسي، وقد تطورت الزاوية بفضل جهود الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف الذي وصل تأثيره أواخر القرن التاسع عشر ميلادي إلى غدامس وغات وعين صالح وتوات وبلاد التوارق.

توفي الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف عام 1875م، وترك عدد من الأولاد بلغ ثلاثة عشر، كان قد أوصاهم بالعودة إلى ديارهم الأصلية بالجزائر. (هلال، 1995، صفحة 320) ،نذكر من هؤلاء الشيخ:

- الشيخ محمد الحسين أسس زاوية قمار شمال وادي سوف، أسلمت على يده الكاتبة المشهورة إيزابيل ايبرهاردت، كما أسس زاوية أخرى في قبلي التونسية التي توفي فيها.

- الشيخ محمد الطيب أسس زاوية الرويسات بورقلة، وقد رافق بعض الرحلات الاستكشافية الفرنسية بجنوب الصحراء، منها رحلة الأستاذ فليمانك FLEMANK بهدف استكشاف منطقة تادمايت غير أنها تحولت إلى حملة عسكرية شرسة، غادرت البعثة مدينة ورقلة يوم 28 نوفمبر 1899م متوجهة نحو عين صالح، ولما تفطن سكان عين صالح إلى نوايا البعثة استعدوا للمقاومة وقتل الشيخ محمد الطيب في قرية شروين القريبة من تيميمون عام 1901م.
- الشيخ محمد الإمام أسس زاوية الرباح جنوب وادي سوف في نهاية القرن التاسع عشر ميلادي وتوفي عام 1904م.
- الشيخ محمد الهاشمي وهو أشهر أبناء الشيخ إبراهيم الشريف، رجع إلى الجزائر عام 1886م، حيث جاب مناطق الجنوب الجزائري استقر به المقام بوادي سوف سنة 1892م، واستقر في منطقة عميش (البياضة)، وأسس زاويته على التقوى وكان يؤم الناس ويدرس نهارا، ويحرق حجارة الجبس بنفسه ليلا لبناء الزاوية. (عميراوي، 2003، صفحة 37)

1-2- أبرز زوايا الطريقة بالجنوب الشرقي:

ظهرت عدة زوايا للطريقة القادرية بالجنوب الشرقي نهاية القرن التاسع عشر ميلادي وبداية القرن العشرين نذكر منها:

أ- زاوية عميش (وادي سوف):

تأسست أواخر القرن التاسع عشر ميلادي وتنسب إلى مؤسسها الشيخ محمد الهاشمي الشريف، حيث قام بتأسيسها عندما رجع إلى أرض الوطن في حدود سنة 1892م، وهكذا تأسست النواة الأولى للطريقة القادرية بالجنوب الشرقي الجزائري، وبدأت معالم الزاوية تظهر من خلال تلك القباب التي تتصدرها، وتلك الأقواس الدائرية التي تزينها إلى أن صارت جاهزة. (حسان، 2008، صفحة 7)

تمكن الشيخ محمد الهاشمي الشريف كسب العديد من المؤيدين لصف طريقته القادرية حيث كان الشيخ يأمر بنصب أباريق الشاي وتقديم الخبز لكل مصلي يأتي لصلاة الصبح

حتى صار الناس يقبلون على الصلاة وينحرطون في صفوف الطريقة القادرية، وعرفت الزاوية في فترته نشاطا واسعا، وأصبح محمد الهاشمي الشريف هو الآمر الناهي في المنطقة مما جعل السلطات الفرنسية تتخوف منه. (القاسم، 2005، صفحة 339)

بعد هدة عميش أو ما يسمى بانتفاضة السوافة 1918م التي ألزم فيها الشيخ محمد الهاشمي الشريف الإقامة الجبرية بالجزائر العاصمة، بعد إطلاق سراحه عاد إلى زاويته وصب اهتمامه في تطوير زاويته وتوسيع نفوذها، ونشر العلم وإيقاض ضمائر الناس للنهضة. (مفتاح، 2008، صفحة 305)

ب- زاوية الرباح (وادي سوف):

تختلف الروايات من حيث تأسيسها وهناك من يذهب أنها تأسست متزامنة مع زاوية عميش، كان لها دور في تعليم القرآن وترديد الأذكار وإكرام الضيوف وإطعام المساكين والفقراء والمحتاجين، وحل النزاعات بين الناس. (غنابزية، 2007)

وقد أسس زاوية الرباح الشيخ محمد الإمام الشريف أخ الشيخ محمد الهاشمي الشريف مؤسس زاوية عميش، وضل شيخا إلى غاية وفاته عام 1904م، حيث تولى المشيخة أبنه لمين الشريف، وقد ساهمت الزاوية في تأييد الليبيين والوقوف بجانبهم ضد الاستعمار الإيطالي من خلال الحملة التي قادها شيخ الزاوية لمين الشريف لمناصرة سليمان الباروني في مقاومته ضد الاحتلال الإيطالي. (عقيب، 2005، صفحة 69)

ج- زاوية قمار (وادي سوف):

أسسها الابن الثالث للشيخ إبراهيم الشريف المسمى محمد الحسين، أقيمت هذه الزاوية في إطار التنافس مع الزاوية التيجانية، ولقد حرصت هذه الزاوية على تحفيظ القرآن الكريم، ثم يرسل الطلبة لإتمام باقي العلوم في زاوية نفطة أو توزر القادريتين. (منصوري، 2000، صفحة 40)، وقد ظهر تقارب في وجهات النظر بين الطريقة القادرية والتجانية بقمار خاصة عن شيخ الزاوية التجانية سي حمة العروسي، وقد أوصى الشيخ محمد الهاشمي الشريف أخوته وأولاده بتوطيد علاقتهم بالتجانيين مستقبلا. (موسى، 2014، صفحة 8)

د- زاوية الرويسات (ورقلة):

أسسها الشيخ محمد الطيب بن إبراهيم الشريف حيث نزل بورقلة قادما من نفطه بحكم أن أمه من شعانبة متليلي، وكان ذلك في نهاية القرن 19م، وقد رافق بعض الرحلات الاستكشافية بجنوب الصحراء منها رحلة 1899م بقيادة الأستاذ فليمانك FLEMANK بهدف استكشاف منطقة تادمايت، غير أنها تحولت إلى حملة عسكرية شرسة، غادرت البعثة مدينة ورقلة يوم 28 نوفمبر 1899م متوجهة إلى عين صالح، ولما تفطن سكان عين صالح إلى نوايا البعثة استعدوا للمقاومة وقتل الشيخ محمد الطيب.

هـ- زاوية بسكرة:

أسسها الشيخ محمد الهاشمي الشريف سنة 1913م، وهو ما تؤكده الوثيقة الأرشيفية التي صدرت يوم الفاتح ماي 1913م وهي عبارة عن رسالة من الحكومة الفرنسية إلى الحاكم العسكري ببسكرة تؤكد فيها موافقتها على طلب الشيخ الهاشمي بتاريخ 17 أفريل 1913م بفتح زاوية للطريقة القادرية ببسكرة. (Archives nationales de Tunisie، ، الصفحات C178, D5/01)

2- ركائز وأسس سياسة فرنسا تجاه شيوخ الطريقة القادرية:

ما يلاحظ في السياسة الفرنسية المتبعة في التعامل مع الطريقة القادرية هو التخوف الواضح للسلطات الاستعمارية من شيوخ الطريقة، هذا التخوف بنته السلطات الاستعمارية على مرتكزات وأسس هي:

2-1- التحفظ من عائلة الشريف إبراهيم بن أحمد:

هذه العائلة جزائرية الأصل فرت نحو تونس وزاويتها الأم بنفطة، على سبيل المثال تمت معاقبة الشيخ محمد الهاشمي الشريف بخطية مالية قدرها 500 فرنك بسبب قيامه بأعمال معادية لفرنسا، والمؤكد أن هذه العائلة تثير تخوف فرنسا اعتبارا من مؤسسها جاء من الجزائر وأفكاره معادية للاستعمار الفرنسي بالجزائر منذ 1830م. (Archives nationales de Tunisie، ، الصفحات D97-3,04)

ويظهر التخوف في قوة زاوية نفطة قبيل تأسيس زاوية وادي سوف والتي كان محمد بن إبراهيم الشريف شيخها وهو شقيق الشيخ محمد الهاشمي بن إبراهيم، حيث كان تعتبرها سنة 1896م أهم مؤسسة دينية بالجريد التونسي على الحدود الجزائرية والتي أمتد نفوذها إلى وادي سوف والجنوب الجزائري. (Archives nationales de Tunisie، ، الصفحات D97-3, 05)

2-2- التخوف من الطرق الصوفية:

كانت السلطات الاستعمارية الفرنسية تتخوف من الطرق الصوفية بما فيها الطريقة القادرية وهذا ما تؤكده معظم الكتابات والدراسات التي قام بها بعض المختصين وبعض المكلفين من قبل السلطة الاستعمارية حول الطرق الصوفية تقر بخطورتها على المصالح الاستعمارية. (العجيلي، 1992، صفحة 72)

وهذا التخوف نجده في كتاب "مارسيل سيمان" Marcil siman الذي طبع عام 1910م، حيث أكد أن الطرق الصوفية غالبا ما تتحول إلى وكر للثورة ضد الأجنبي، وضد الرومي المدنس لأرض الإسلام، وبالتالي فإن الزاوية حسب ما أورده لم تعد فقط مكانا لتعليم القرآن الكريم، بل أصبحت وكرا للثورة، ترسم في ظلام أركانها مخططات الانتفاضة. (Coufriries, 1910, p. 39)

ومن الكتابات كذلك ما كتبه "شارل بروسلار" charles Brosslerd والذي وصف فيه أتباع الطرق الصوفية "الميليشيات المسلحة للدفاع ونشر العقيدة – مستعدة للإنطلاق وبمجرد أول الإشارة من قائدها". (charles, 1859, p. 19)

إن هذه الكتابات جعلت الإدارة الاستعمارية منذ دخولها إلى وادي سوف وإلى غاية الحرب العالمية الأولى تخشى الطرق الصوفية التي جعلت بعض من كتبوا عنها يعتبرونها قوة مجاهدة عن الإسلام وتساهم في نشر التعصب في صفوف الموالين لها.

2-3- دور شيوخ الطريقة القادرية في المقاومة الشعبية:

إن الصمود الذي أظهرته الطريقة القادرية وشيوخها في العديد من الثورات جعل السلطات الفرنسية تتوجس خوفا من أن تلقى من الطريقة القادرية بالجنوب الجزائري نفس ما لقيته من مثيلاتها في باقي ربوع الوطن طيلة السنوات التي سبقت تأسيس الطريقة القادرية بالجنوب الجزائري في نهاية القرن 19م، على غرار مقاومة الأمير عبد القادر بالغرب الجزائري، ومقاومة ابن ناصر بن شهرة بالأغواط والجنوب الشرقي، ومقاومة الشريف محمد بن عبد الله بالجنوب كذلك، ومقاومة الشيخ بوشمال بن قبي بمنطقة تقرت، وغيرها من المقاومات الشعبية الأخرى التي قادتها شيوخ الطريقة القادرية أو شاركوا فيها.

3- طرق ووسائل مراقبة شيوخ الطريقة القادرية:

اعتمدت السلطات الاستعمارية الفرنسية على عدة وسائل وانتهجت طرق عديدة لضمان سيطرتها على شيوخ الطريقة القادرية وشل نشاطهم نذكر منها الاعتماد على الدراسات والإحصائيات والهدف منها جمع معلومات عن شيوخ الطرق، كما انتهجت طريقة المراقبة والمعاقبة لهؤلاء الشيوخ.

3-1- الدراسات والإحصائيات:

لقد بدأ اهتمام الفرنسيين لجنوب الصحراء قبل دخولها إليها في إطار التمهيد والتحضير لاحتلالها، من خلال مرحلة الاستكشافات التي جمعت من خلالها معطيات حول التضاريس والمناخ والديمغرافيا، وبعد الاحتلال مباشرة سعت إلى جمع المعلومات عن الطرق الصوفية ومشايخها وفي مقدمتها الطريقة القادرية في شكل إحصائيات من حيث عدد أبقاعها وأصنافهم الاجتماعية، وعدد زواياها ووظائفها ومهامها، وخاصة وزنها الاقتصادي والاجتماعي، وميولاتها ومواقفها من الاستعمار، وقد اعتمد في ذلك على القياد وحتى شيوخ الزوايا أنفسهم. (العجيلي، 1992، صفحة 74)

وأهم هذه الدراسات نذكر منها:

- دراسة ديبون 1896م وتمكن خلالها من جمع معلومات عن تاريخ التصوف الإسلامي وخاصة الطرق الصوفية بالجزائر وقام بإثرائها واستكمالها بمعلومات عن الطرق والزوايا بالبلاد

التونسية نظرا للارتباط الوثيق بين زاوية نفطة القادرية وزاوية الطريقة القادرية بالجنوب الجزائري، وهذا ما تؤكده الرسالة التي بعثها الحاكم العام بالجزائر إلى المقيم العام بتونس "ريفوال Rivoil" بتاريخ 1896/01/25م يطالبه فيها بجمع معلومات عن الطرق الصوفية وبدوره المقيم العام وجه منشور يحمل الرقم 63 مؤرخ في 1896/02/20م إلى المراقبين المدنيين حثهم فيها تجميع المعلومات المطلوبة، هذه الرسالة تعتبر رد فعل من السلطات الفرنسية على تأسيس زاوية عميش بوادي سوف والتي أسسها الشيخ محمد الهاشمي الشريف عام 1892م.

– دراسة 1911م، هذه الدراسة جاءت بسبب ما صدر من شيوخ الطريقة القادرية بالجنوب الشرقي على الحدود مع تونس وليبيا، ونذكر منها دعم زاوية عميش والرباح بوادي سوف للمقاومة الليبية ضد الاحتلال الإيطالي عام 1911م، حيث وجه سليمان الباروني نداء الجهاد وطلب العون من الشيخ محمد الهاشمي الشريف لدعم المقاومة وبدوره شيخ الطريقة رافق ابن أخيه محمد لمين بن الشيخ الإمام على رأس جيش تكون من ثلاث مائة جندي، والجدير بالذكر أن سليمان الباروني كان يعتبر الشيخ الهاشمي من أنصار الدولة العثمانية والمتحمس لها، ومعنى هذا أن شيخ الطريقة القادرية من أنصار حركة الجامعة الإسلامية وهو ما يستوجب التعمق في التعرف على هذا الشيخ. (عميراوي، 2003، صفحة 39)

3-2- سياسة المراقبة والمعاقبة:

إن الفكرة المسبقة للسلطات الفرنسية على الطريقة القادرية وطنيا من خلال مقاومة الأمير عبد القادر، ومحليا من خلال مقاومة الشيوخ للاحتلال الفرنسي بالمنطقة (ابن ناصر بن شهرة، الشريف بوشوشة، بوشمال بن قبي)، إضافة إلى موقف الشريف إبراهيم بن أحمد من الاستعمار الفرنسي وهو الأب الروحي والمؤسس الفعلي للزوايا القادرية بالجنوب الجزائري، جعل من السلطات الاستعمارية تصنف الطريقة القادرية ضمن خانة الطرق المعادية لها لذلك شددت المراقبة على شيوخها، كما أن طبيعة الفكر الصوفي وما يثيره من تعصب وعدوانية

ضد الأجنبي الرومي المدنس لأرض الإسلام، إلى جانب العلاقات الموجودة بين الطريقة القادرية وزواياها بمختلف مناطق الجنوب وادي سوف، بسكرة، ورقلة، والطريقة الأم بمدينة نفطة التونسية، وما يتطلبه من تبادل الزيارات الشبه دائمة بين المركزي والمحلي في الداخل والخارج، فضلا عن متانة الروابط المطلقة للأب الروحي للطريقة، كل ذلك دفع السلطات الاستعمارية إلى اتخاذ عدة إجراءات دقيقة وصارمة تركزت بالدرجة الأولى على مراقبة شيوخ الطريقة القادرية بالجنوب الجزائري، وذلك من خلال عدة أساليب شملت مستويات مختلفة ومتنوعة. (Archives nationales de Tunisie, , p. D5/01)

ومن أحط التدابير الأمنية الصارمة التي اتخذتها السلطات الاستعمارية رصد ومراقبة تنقلات شيوخ الطريقة القادرية داخل وخارج الجزائر، إذ جرت العادة عند جل الطرق الصوفية أن يقوم الشيخ مرة في السنة بزيارة رسمية إلى شيخ الطريقة الأكبر سواء بتونس أو الجزائر لأخذ الوصايا والتعليمات، وفي نفس الوقت يقوم بجمع المبالغ المالية من الأتباع والزوار الذين يحتشدون بالمئات لاستقبال شيوخهم طلبا للثواب ونيلا للبركة على نحو ما يعتقدون. (منير، 2008/2007، صفحة 113)

إضافة على هذا الرابط الروحي، فإن هناك عامل اقتصادي يربط الزاوية القادرية بوادي سوف بالتراب التونسي وهو ممتلكات العائلة في الجريد التونسي، إنطلاقا من هذه الاعتبارات وسعيا منها لإضعاف الطريقة القادرية وشل نشاط شيوخها أصدرت السلطات الفرنسية قوانين حجرت الزيارات الغير مرخصة لشيوخ الطريقة الذين أصبحوا مطالبين قانونيا بالحصول على إذن مسبق أو ترخيص خاص من مصلحة مكتب الشؤون الأهلية وذلك تطبيقا للقرار 03 المؤرخ في 09 جانفي 1913م، والقرار 13 المؤرخ في 24 أوت 1921م، والذي وضع لشيوخ الزوايا الإجراءات القانونية الواجب اعتمادها في التنقل من الجزائر إلى تونس أو العكس. (ينظر الملحق رقم 01)

وهكذا من خلال القوانين فقد شيوخ الطريقة القادرية بالجنوب الجزائري حرية التنقل، بل أنهم أصبحوا مطالبين قانونيا بتقديم مطلب إلى إدارة بيرو عرب بالنظر مع ما في ذلك من

مماطلة وإضاعة للوقت وتعطيل مصالح هؤلاء الشيوخ، ناهيك عن الشعور بالظلم والجور في حالة رفض منح الرخص دون توضيح لأسباب الرفض، وقد دفعت هذه الإجراءات التعسفية بعض الشيوخ إلى التمرد والتنقل دون ترخيص سلطت عليهم غرامات مالية وهو ما أدى إلى تشنّج العلاقات بين شيوخ الطريقة القادرية والسلطات الاستعمارية خاصة بعد أن أصبح شيوخ الطريقة القادرية ملزمون بتقديم جملة من التوضيحات منها شرح وتفسير سبب التنقل والطريق المتبع حتى يسهل على السلطات الفرنسية معرفة مسالك العبور والتنقل، وبالتالي سهولة مراقبة المشبوه فيهم من الشيوخ لأن سلطات الاحتلال كانت متوجسة من شيوخ الطريقة بالجنوب الجزائري بناءا على ما ذكرت سابقا من معطيات.

ومن خلال الوثائق الأرشيفية المتحصل عليها سوف أذكر العديد من الأمثلة وهي حقائق تاريخية تؤكد الإجراءات الفرنسية المنتهجة تجاه شيوخ الطريقة القادرية من أجل مراقبتها ومعاقبتها:

– ضرورة تحديد الأماكن التي ستتم الإقامة فيها خلال الرحلة مع تحديد العنوان وضبط مسالك التنقل والالتزام بالمثول أمام السلطات المعنية حال وصول المكان المقصود، ويمكن الاستشهاد في هذا السياق برحلة شيخ الطريقة القادرية بزاوية الرباح بوادي سوف محمد لمين بن محمد الإمام الشريف في 1931/09/10م على إجازة مدتها ثلاثة أشهر في نفطة وتوزر وتمغزة بتونس. (Archives nationales de Tunisie، ، الصفحات C178, D5/12)

– مراقبة حلقات الذكر التي يعقدها شيوخ الطريقة القادرية وإعداد تقارير مفصلة تتضمن نوعية الأوراد وعددها وكيفية ترديدها، إلى جانب وصف الأزياء الخاصة بكل الشيوخ مثلا أتباع القادرية أزيائهم خضراء، وتلاحظ مراقبة كل زيارة لشيخ زاوية عميش عبد العزيز بن محمد الهاشمي الشريف إلى تونس لأمور دينية. (Archives nationales de Tunisie، الصفحات C178, D5/12)

– متابعة نشاطات الزاوية القادرية في المجالات الاجتماعية والثقافية ومحاولة التضييق عليها من جهة، ومعرفة وزنها الاجتماعي والثقافي من جهة أخرى، وقد طالت هذه المتابعة شؤون الطلبة القادريين في تونس. (Archives nationales de Tunisie، ، الصفحات C178, D5/1)

– إعداد تقارير أمنية على العناصر المتنفذة والمقصود هذا شيوخ الطريقة القادرية، وكشف نوعية علاقتهم بالداخل والخارج من خلال إحصاء كل صغيرة وكبيرة عن الطريقة القادرية، وقد تحصلت على وثيقة من الأرشيف الوطني التونسي على دراسة إحصائية لعائلة الشريف أحمد بن إبراهيم مؤسس زوايا الطريقة القادرية بالجنوب الجزائري وهو ما يشبه التقرير الأمني. (ينظر الملحق رقم 02)

– مراقبة تطور الطريقة القادرية وانتشارها على الصعيدين الإقليمي والمحلي حيث طلبت السلطات الإدارية الاستعمارية من الشيخ محمد الهاشمي الشريف إيداع طلب في حالة فتح زاوية جديدة بالجنوب الجزائري أو حتى خارج الوطن. (Archives nationales de Tunisie، ، الصفحات C178, D5/1)

كما أصدرت السلطات الفرنسية جملة من القوانين تجبر فيها شيوخ الطرق الصوفية على دخول جنود الاحتلال للزوايا عند الضرورة، ومن أبرز هذه القوانين قانون 06 فيفري 1884م والذي ينص على عدم التستّر على أي مجرم يتحصّن بالزاوية، بحيث يتعين على الشيخ أو من ينوبه إعلام السلطات العسكرية حالا بوجود المتهم في حرم الزاوية، وجاء بعد احتلال مناطق الجنوب مباشرة في ظل الدعم الكبير لشيوخ الطرق الصوفية للمقاومة الشعبية. (Archives nationales de Tunisie، ، الصفحات C97, F5)

ورغم التجاوب المفروض من شيوخ الطرق الصوفية مع الإجراءات والقوانين المتخذة ضدّهم في مختلف المجالات الإدارية والسياسية، إلا أن السلطات العسكرية الفرنسية في الجنوب واصلت تضييق الخناق على هؤلاء الشيوخ ومحاصرة توجهاتهم من أجل تفقيرهم وتهميشهم وذلك من خلال منع الزيارات التي تكون بهدف جمع الأموال والهبات، إلى جانب

تصفية قسم هام من أملاكهم العامة والخاصة التي تمثل دعامة وجود الزوايا واستقرارها، حيث أقدمت السلطات الاستعمارية على تحجير الزيارات التي تقع في الغالب بهدف تدعيم ميزانية المؤسسة الطرقية مما أضرّ بثروة ورموز الطريقة باعتبار أنهم ينتفعون بنصيب أوفر من المجمعة (أموال، حبوب، زيت، لحوم، منسوجات، أغطية)، وكما هي عادتها في خلق الذرائع، فقد علّلت الإدارة الفرنسية إجراءات منع الزيارات هذه ببعض الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي ألمت بقطنات واسعة من الأهالي في سائر جهات المنطقة الحدودية بالجنوب الشرقي خاصة أيام المجاعات والأمراض والأوبئة، غير أن الهدف الحقيق من وراء هذا المنع هو ضمان الاستخلاص المرضي للضرائب، ناهيك عن حرصها الكبير لاسترجاع ما تخلف في ذمة الأهالي من ديون، وحتى لا ينافسها شيوخ الطرق الصوفية في ذلك والواقع أن السكان لو خيروا بين دفع الضرائب وإرسال الزيارات والهدايا لشيوخ الطرق لاختاروا الحل الثاني. (H, 1980, pp. 81-90)

وفي نفس السياق تخشى إدارة الاحتلال من أن يقوم شيوخ الطريقة القادرية المنتشر نفوذهم وسيطرتهم على الجنوب بتوظيف ثرواتهم ومكاسبهم لدعم أنشطة الأحزاب السياسية والتي تسرب دعاتها إلى مناطق الجنوب الجزائري خاصة زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى منطقة وادي سوف بدعوة من شيخ الطريقة القادرية عبد العزيز بن محمد الهاشمي الشريف.

وفي الحقيقة أثرت السياسة الفرنسية المبنية على المراقبة والمعاقبة ومنع الزيارات التي يهدف الشيوخ من ورائها إلى كسب الأموال للطريقة لأنها مبالغ ضرورية لا غنى ولا بديل عنها لتسديد جملة المصاريف والنفقات، ومن أبرز زوايا الطريقة القادرية المتضررة بالجنوب الجزائري هي زاوية عميش بوادي سوف، خاصة في ظل نفي شيخها محمد الهاشمي الشريف خارج تراب الجنوب لمدة سنتين بعد رفضه لقانون التجنيد الإجباري 1918م، في حين اضطرت ابنة الشيخ وهي "زهور" للعمل ليلا ونهارا حتى تضمن استمرارية الزاوية ونشاطها. (عميراوي، 2003، صفحة 54).

خاتمة:

في نهاية هذا المقال يمكن الوصول إلى النتائج الآتية:

- أن السلطات الاستعمارية الفرنسية كانت تتخوف من شيوخ الطريقة القادرية انطلاقا من دورها الكبير في المقاومة الشعبية.
- كانت السلطات الاستعمارية الفرنسية تتحفظ من عائلة إبراهيم بن أحمد الشريف بناءا على اعتبارات تاريخية.
- قامت السلطات الاستعمارية الفرنسية بإعداد دراسات واحصائيات على التيار الصوفي بالجنوب الجزائري.
- أصدرت السلطات الاستعمارية الفرنسية قوانين تفرض على شيوخ الطرق الصوفية الحصول على ترخيص للتنقل، وهذا من أجل مراقبتهم.
- أقدمت سلطات الاستعمار الفرنسي على معاقبة شيوخ الطرق الصوفية نتيجة مخالفتهم لبعض القوانين والتشريعات، وقد عانى من هذا الأمر بصفة خاصة شيوخ الطريقة القادرية.
- تمكنت السلطات الاستعمارية الفرنسية من إحكام الطوق والسيطرة على شيوخ الطرق الصوفية بفضل التشريعات والقوانين التي ضايقت تحركات هؤلاء الشيوخ.
- ما يمكن استخلاصه أن السلطات الاستعمارية الفرنسية تمكنت من احتواء بعض شيوخ الطرق الصوفية.

ملاحق:

ملحق رقم(01)

Résidence Générale
de la
République Française
à Tunis

Tunis, le 21 Août 1921

84

A.S. des déplacements des personnages religieux.

Le Délégué à la Résidence générale de la République Française à Monsieur le Contrôleur Civil

Mon attention a été attirée sur les retards qui se produisent fréquemment dans l'instruction des demandes de déplacements de personnages maraboutiques désireux de se rendre d'Algérie en Tunisie ou inversement.

Afin de remédier à ces inconvénients et pour permettre une surveillance plus active des personnages religieux musulmans, j'ai décidé, après accord avec le Gouvernement général de l'Algérie, qu'il y aura lieu dorénavant d'adopter la procédure suivante :

L'Autorité de la circonscription frontière avisera immédiatement l'Autorité correspondante du pays voisin des déplacements projetés et toutes deux saisiront aussitôt l'autorité dont ils relèvent, le Résident général ou le Gouverneur général et leur feront connaître leur avis sur l'opportunité de ces déplacements.

Cette Résidence et le Gouvernement de l'Algérie recevront, de la sorte, à peu près en même temps et sans qu'il soit nécessaire de procéder à des retransmissions de lettres ou de télégrammes ni à de nouvelles consultations, les avis motivés devant permettre de prendre une décision immédiate.

D-182 3

ملحق رقم(02)

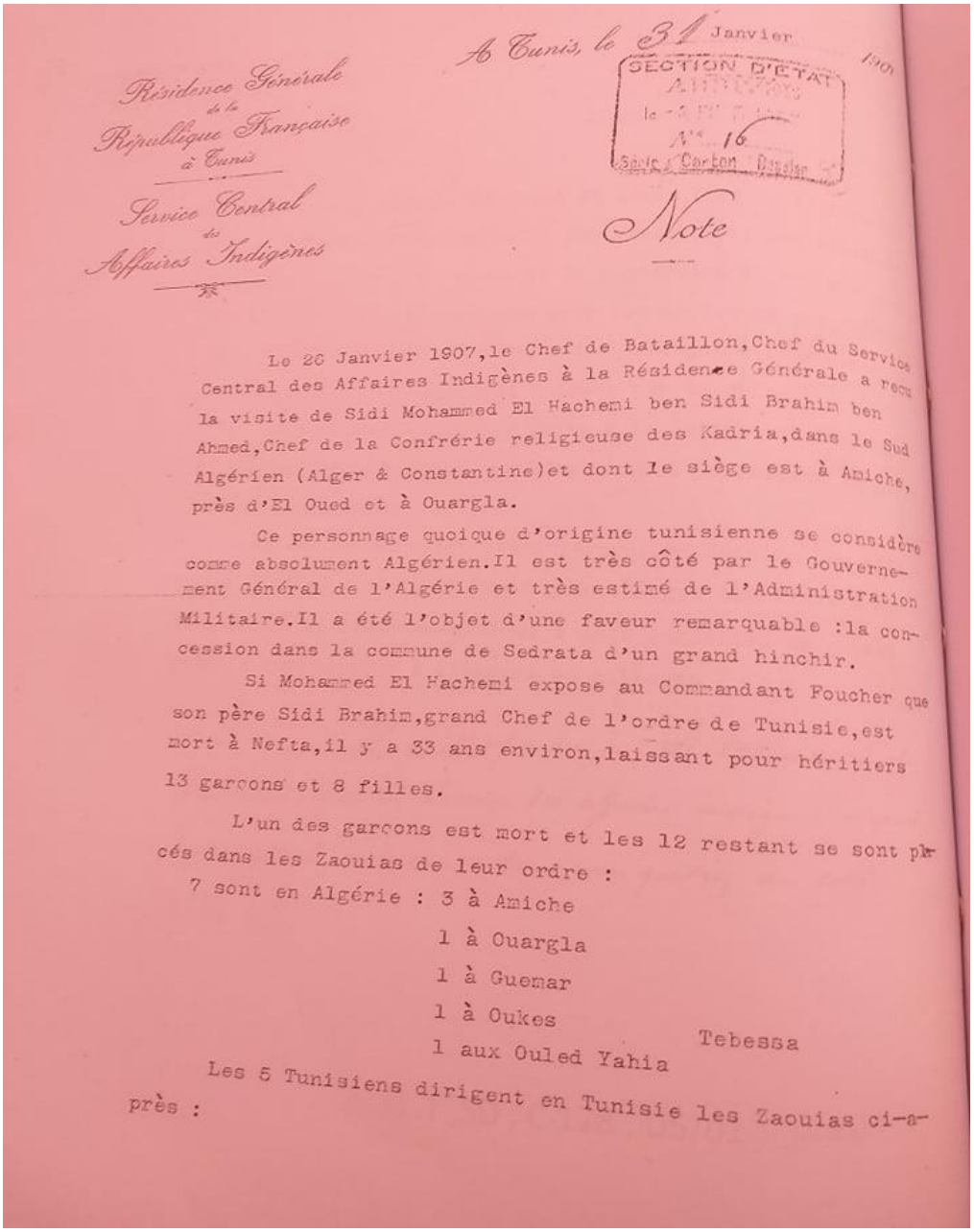

Résidence Générale de la République Française à Tunis

Service Central des Affaires Indigènes

A Tunis, le 31 Janvier 1907

SECTION D'ETAT
N° 16
Service Carton Dossier

Note

Le 26 Janvier 1907,le Chef de Bataillon,Chef du Service Central des Affaires Indigènes à la Résidence Générale a reçu la visite de Sidi Mohammed El Hachemi ben Sidi Brahim ben Ahmed,Chef de la Confrérie religieuse des Kadria,dans le Sud Algérien (Alger & Constantine)et dont le siège est à Amiche, près d'El Oued et à Ouargla.

Ce personnage quoique d'origine tunisienne se considère comme absolument Algérien.Il est très côté par le Gouvernement Général de l'Algérie et très estimé de l'Administration Militaire.Il a été l'objet d'une faveur remarquable :la concession dans la commune de Sedrata d'un grand hinchir.

Si Mohammed El Hachemi expose au Commandant Foucher que son père Sidi Brahim,grand Chef de l'ordre de Tunisie,est mort à Nefta,il y a 33 ans environ,laissant pour héritiers 13 garcons et 8 filles.

L'un des garcons est mort et les 12 restant se sont placés dans les Zaouias de leur ordre :

7 sont en Algérie : 3 à Amiche
1 à Ouargla
1 à Guemar
1 à Oukes
1 aux Ouled Yahia Tebessa

Les 5 Tunisiens dirigent en Tunisie les Zaouias ci-après :

d'El Ksour (Kef)
de Gafsa,
de Nefzaoua,
de Nefta.

Le fils aîné Si Mohammed El Kébir, Chef de l'ordre des Kadria à Nefta a disposé, soit par ventes, soit par antichrèses, d'une partie des biens de la succession de son père. Son frère, ému de son insouciance pour les droits de ses frères plus jeunes que lui, est venu pour l'obliger à procéder à un partage des biens immeubles laissés par le père.

Il a entretenu de ces faits M. le Secrétaire Général du Gouvernement Tunisien et M. le Général Commandant la Division d'Occupation.

Il sollicite aujourd'hui l'appui du Service des Affaires Indigènes de la Résidence pour obliger son frère à obtempérer à sa demande. Celui-ci a déjà constitué un avocat pour le représenter à l'Ouzara et ailleurs./.

Il a été répondu à Si Mohammed el Hachemi que le Service des affaires indigènes n'avait nullement à intervenir dans une question de cette nature.

- المراجع :

Archives nationales de Tunisie .( ) .A.S des déplacement des personnages religieux .Tunisie: gouvernoment Tunisie.
charles, B. (1859). les khain de la constitution des ordre religieux muslumans en Algerie. Alger: imp Bouget.
Coufriries, S. d. (1910). Islamique en Algerie. Alger: rahmania Tidjania.
H, d. O. (1980, décembre 20/21). Note à propos des enquétes colonailes sur la religion populaire en Tunisie de 1896 a 1934. 81-90.

إبراهيم مياسي. (بلا تاريخ). مقاربات في تاريخ الجزائر.

أحمد بن الطاهر منصوري. (2000). الدر المرصوف في تاريخ سوف. الجزائر: دار الهدى.

أحميدة عميراوي. (2003). رسالة الطريقة القادرية . الجزائر: دار الهدى.

التليلي العجيلي. (1992). الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881-1956م. تونس: منشورات كلية الأدب بمنوبة.

الجيلاني حسان. (2008). ملحمة الشيخ الهاشمي الشريف 1853-1923م. الجزائر: دار هومة .

بن جامع منير. (2008/2007). الطرق الصوفية بالتراب العسكري التونسي 1881-1956م. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، التاريخ. صفاقص: كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

سعد الله أبو القاسم. (2005). الحركة الوطنية 1830-1900 (المجلد ط 2). لبنان: دار الغرب الإسلامي.

عبد الباقي مفتاح. (2008). أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته . عين مليلة الجزائر: دار الهدى.

علي غنابزية. (2007). برنامج بيوت عامرة. الوادي: إذاعة وادي سوف.

عمار هلال. (1995). أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962م. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

محمد السعيد عقيب. (2005). أضواء على مشاركة أهل وادي سوف في المقاومة الشعبية للاحتلال الإيطالي. مجلة العهد الثقافي.

موسى بن موسى. (2014). دور الشيخ عبد العزيز الشريف في الحركة الإصلاحية ومقاومة الاستعمار. جامعة الوادي. الوادي: جامعة الوادي.